بسم الله الرحمن الرحيم

التماسك النصي في الحديث النبوي

حديث قاتل المائة أنموذجًا

دراسة نصية

إعداد : وضحى الغانم

مركز اللغة العربية للناطقين بغيرها

كلية الآداب والعلوم

جامعة قطر

فصلية محكمة
فصول
مجلة النقد الأدبي

ملخص البحث

تأثرت الدراسات اللغوية العربية الحديثة بالدراسات الغربية في مجال النصية وتحليل النص بوصفه أكبر وحدة قابلة للتحليل، فطبقها البعض دون أن يأخذ في الاعتبار طبيعة اللغة العربية، ومصطلحاتها ومسمياتها فضاع بين لغتين، بينما حاول البعض الربط بين القديم والحديث بذكر الحديث ثم العودة للقديم . وقد حاولت الباحثة في هذه الدراسة أن تنتهج خطاً تركز فيه على إظهار التماسك النصي في النص المدروس من نظرة نصية حديثة، فاتخذت النص منطلقا لتكشف ما به من تماسك ، وحاولت أن تتناول عناصر التماسك بصورة مناسبة لطبيعة اللغة العربية ، فأفادت من الواقع البحثي الموجود في عناصر ، واستقلت في عناصر أخرى رأت أنها تحقق هدفها بصورة أفضل ، فأخذت عناصر الإحالة والتكرار كما هي موجودة عند الدارسين في الميدان ، لكنها اختطت لنفسها خطا آخر في مجال ما عبر عنه الباحثون" بالوصل – العطف "فجمعته تحت عنوان " أدوات الربط " ، ووقفت على وسائل تماسك جديدة طبقتها في التحليل ، وأثبتتها مع النتائج .

وقد طُبقت هذه الدراسة على نص من الحديث النبوي الشريف هو قاتل المائة ليس لإعطاء النص شهادة النصية – معاذ الله - بل للوقوف على آليات التماسك فيه ، وإبراز نصيته، بوصف الحديث النبوي نصاً أدبياً عُني العرب بتوثيقة وإسناده والاستشهاد به.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على تتبع عناصر التماسك النصي في الحديث المدروس ، اعتمادا على آليات التماسك النصي الحديثة

والتي طالما هي طبقت على اللغة العربية، فلابد أنها قد أتت تلقائيا مبنية على أسس اللغة الممتدة عبر العصور، وما حدث هو مجرد تركيز على جوانب بعينها، أو تبويب جديد، إنه أشبه بالتصوير فقد نصور صورة قريبة لإبراز تفصيله معينه، وقد نصور بطائرة (درون)[1]لتكون الصورة أشمل، وهذا ما حدث في هذه الدراسات النصية الحديثة.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث هي :

١- التماسك النصي من خلال الإحالة.

٢- التماسك النص من خلال أدوات الربط.

[1] آثرت استخدام " درون " على " مسيرة " لأن الثانية تنقلنا إلى أجواء الحرب والعمليات العسكرية .

٣- التماسك النصي عن طريق التكرار.

وقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج أثبتت بها صحة فرضياتها، وقد أوردت نتائجها في آخر الدراسة، كما قدمت عدة اقتراحات قد تساعدها وتساعد الباحثين على المزيد من الدراسات المشابهة.

الكلمات المفتاحية :

التماسك النصي – الإحالة – أدوات الربط – التكرار.

المقدمة

يعتبر مفهوم التماسك النصي من الموضوعات الجديدة نسبيا، وقد استشعرت من خلال اطلاعي عليه أن الباحث قد يجد فيه فائدة في تطوير قواعد للكتابة العربية قد تفيد دارسيها من الناطقين بها والناطقين بغيرها، فهناك ثغرة كبيرة في تدريس الكتابة ، فلطالما دُرّست لسنوات طويلة في مدارسنا دون قواعد خاصة بها، و لعل الصورة تحسنت الآن قليلا في المدارس مع تقديم بعض قواعد الكتابة المتأثرة باللغة الإنجليزية ، كأنواع النصوص والتطبيق عليها. بالإضافة إلى أن هذا الموضوع يجمع بين اللغة والأسلوب بطريقة جميلة، وهذا يتفق مع نظرتي للغة بأنها لا تجزأ إلى لغة وأدب فهي كل متكامل، ونسيج متجانس.

فرضيات الدراسة :

تقوم الدراسة على فرضية وجود مظاهر للتماسك النصي في الأحاديث النبوية، على اعتبار أن الحديث النبوي نص أدبي مقدس عُني العرب عبر العصور بتوثيقه عن طريق الإسناد، وتميزه بأنه نص منطوق تحول لمكتوب، مما قد يعطيه مظاهر للتماسك قد لا نجدها في النصوص المكتوبة. ونحاول في هذه الدراسة تحديد مظاهر هذا التماسك ، وتفسيرها إن أمكن.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مظاهر التماسك النصي في الحديث النبوي ممثلا في الحديث المدروس، وتحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- كيف تحقق التماسك في النص المدروس من خلال :

أ – الإحالة.

ب- أدوات الربط.

ج- التكرار.

٢- هل هناك مظاهر تماسك أخرى تكشف عنها الدراسة ولم يسلط الضوء عليها في أدبيات هذا الموضوع ؟ وكيف أضفت هذه المظاهر التماسك على النص المدروس ؟

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على تتبع عناصر التماسك النصي في الحديث المدروس، اعتمادا على آليات التماسك النصي الحديثة.

مصطلحات الدراسة:

التماسك النصي:

النص : يعرف هاليدي ورقية حسن النص بإنه : " متتالية من الجمل شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات ، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة... يسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية " (خطابي،١٩٩١، ص١٣)

أما (فاينرش) فعّرف النص ب " وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فَهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل"(الداود،٢٠١٩، ص١٦)

التماسك: مصطلح مترجم عن مصطلح الأجنبي، وكالعادة في ترجمة المصطلحات العلمية فقد اختلف المعنيون في الترجمة، فاستُعمل مصطلحان هما: التماسك واستعمله صبحي الفقي وجودة مبروك، و الاتساق: استعمله خطابي وفريد حيدر(الداود، ٢٠١٩ ، ص١٧)

وعليه " مصطلح التماسك النصي يندرج تحت علم لغة النص، أو لسانيات النص ، الذي يقوم على دراسة النص اللغوي في إطار يضمن له الترابط والتماسك" (الجهني ،٢٠٢٠،ص ٧٧)

أدوات التماسك النصي التي ستُطبق على النص المدروس :

الإحالة :

تعرف الإحالة بأنها " العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات" (بوجراند، ١٩٩٨، ص١٧٢)

وتصنف الإحالة كوسيلة من وسائل الاتساق النحوي عند من قسم وسائل الاتساق إلى نحوية و معجمية ... الخ .

ويقسم هاليداي ورقية حسن الإحالة إلى: إحالة مقامية تشير إلى شيء خارج النص وإحالة داخلية تشير إلى شيء داخل النص، ويقسمان الإحالة الداخلية إلى إحالة تشير إلى سابق وتسمى قبلية ، وإحالة إلى شيء لاحق وتسمى بعدية" (بريك، ٢٠١٨، ص٢٣١)

" وتقوم الإحالة على ركنين كبيرين لهما دورهما الفعال في تماسك أجزاء النص هما الضمائر وأسماء الإشارة "(بريك، ٢٠١٨،ص٢٨٦)

فصلية محكمة فصول مجلة النقد الأدبي

أدوات الربط :

وهي أدوات تربط بين الجمل في النص، ولها عدة تصنيفات وتسميات حديثة، نشأت من خلال تطبيق علم اللسانيات على النصوص العربية، وإلا فهي موجودة في متون كتبنا ولكن تحت مسميات مختلفة، وبتقسيمات مختلفة. ومن أمثلتها في المصنفات الحديثة خاصة التعليمية منها في مجال الكتابة:" الربط الإضافي – الربط الاستدراكي-الربط الزمني" (Lahlali، 1988، ص ٣).

ويدرجها الزناد في قسم سماه " قسم الأدوات المنطقية "، وقسمها إلى نوعين:

ربط خطي: يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية، وربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يُدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل " الفاء " و " ثم " و" أو " وغيرها في العربية، حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين(الزناد ،١٩٩٣،ص٣٩)

وسنتبع في هذه الدراسة ما قال به الزناد، وسنركز على الروابط التي ذكرها في الربط الخطي.

التكرار :

عرفه محمد العمري بأنه إعادة الكلمة نفسها في موقعين أو مواقع متقاربة

وحدد صبحي الفقي مواقعه كالتالي : قد يكون في أول الجمل، أو في ثناياها أو آخرها ولا يقتصر التكرار على عدد من الألفاظ في الجملة، بل قد تتكرر جمل كاملة، وقد تتكرر فقرات.

ويؤدي التكرار دورا مهما في تحقيق التماسك النصي فهو يخلق الاستمرارية في النص ، كما يشدّ النص بربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى، كما أن تكرار كلمات من مجال واحد توضح القضية المحورية في النص (عبيدات ٢٠١٩، من ص١٣٩- ١٤٢)

أنماط التكرار :

-التكرار المحض : يقصد به التكرار دون تغيير .

وينقسم إلى قسمين : ١- التكرار مع وحدة المرجع (أي يكون المسمى واحدا)

٢- التكرار مع اختلاف وحدة المرجع ، أي المسمى متعدد واللفظ واحد.

التكرار الجزئي الاشتقاقي: وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر الواحد .

التكرار بالمرادف : تكرار الكلمات بالمعنى أي المضمون واحد، لكن تختلف في شكل الكلمات مثل : رجز وعذاب فالرجز هو العذاب(دكمة، ص١٠ -١٩، ٢٠١٧)

هذا وسنذكر فائدة كل نمط من أنماط التكرار أثناء التحليل.

الدراسات السابقة

الدراسات في التماسك النصي في القرآن كثيرة ومتنوعة، أما في مجال الحديث النبوي فهي أقل بكثير. ومن الدراسات التي تمكنا من الوصول إليها، وقريبة من دراستنا، الدراسات التالية :

١- دراسة أماني الداود " التماسك النصي في القصص النبوي : حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجا ".

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي التحليلي، وقد جاءت الدراسة في مبحثين، الأول : التماسك النحوي من خلال العناصر التالية: الإحالة – التعريف – الحذف – الاستبدال – الوصل.

التماسك المعجمي من خلال التكرير والتضام .

وخلصت الباحثة إلى أن عناصر التماسك كان لها أثر جلي في ترابط النص، وتسلسل الأحداث، وأوصت الدراسة بإعادة النظر في بعض عناصر التماسك النصي بما يتناسب مع طبيعة اللغة العربية.

٢- دراسة عائشة حسين بارودي " التماسك النصي وجذوره البلاغية في الحديث النبوي : القيم الاجتماعية نموذجا.

دخلت الباحثة في دراستها إلى مصطلحات الدراسة مباشرة ، وأغفلت منهج البحث وأسئلته والدراسات السابقة، ومع ذلك يمكن بسهولة أن نستنتج منهج البحث فهو وصفي تحليلي. وقد وقع اختيار الباحثة على عدة أحاديث في تأصيل القيم الاجتماعية كنماذج للدراسة والتحليل، وأشارت إلى أنها ستتناوله عند المحدثين والقدماء، وقد استخدمت الباحثة وسائل الترابط التالية: الإحالة – والشرط – التكرار – العطف – الاستبدال.

وخلصت الباحثة إلى أن وسائل الربط كان لها أثرها في إبراز الترابط اللفظي والمعنوي في البنية الكلية والجزئية، كما أوصت الباحثة بمزيد من الدراسات في هذا الموضوع تربط القديم بالحديث.

٣- دراسة عبد العزيز فتح الله عبد الباري " التماسك النصي في الحديث الشريف

أشار الباحث إلى أنه سيتناول بعض النصوص الحديثة من خلال أداة المرجعية، وتشمل ضمير الشأن وضمير الموصول وضمير الإشارة والضمائر المتركبة من أكثر من ضمير من الضمائر السابقة.

حلل الباحث عددا من الأحاديث المختارة بإخضاعها للأدوات السابقة التي حددها، وكان يربط تحليله أيضا بمناسبة الحديث، لأن تحديد المناسبة يسهم في تحديد مرجعية الضمير. خلص الباحث إلا أن الضمائر تلعب دورا جليا كأدوات ترابط نصية في تحقيق نصية النص ببناء شبكة العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ربطا محكما يتحد فيه البناء.

٤- دراسة باسم خيري خضير " أثر الإحالة في تماسك نص القصص النبوي الشريف "

هذا الباحث مثل سابقة لم يذكر المنهج الذي استخدمه، ولم يورد أسئلة البحث أو الدراسات السابقة .

فقد بدأ بالمصطلحات فأسهب في الحديث عن مفهوم النص، ثم تناول الإحالة فقسمها إلى : مقامية ونصية ثم قسم النصية إلى قبلية وبعدية، ثم قسمها بحسب العنصر اللغوي إلى: معجمية وتركيبية. كما ذكر أن بعضهم قد قسم الإحالة إلى خمسة أنواع : إشاريات شخصية وتعد من الإحالة النصية -إشارات زمانية – إشاريات مكانية -إشاريات الخطاب – إشارات اجتماعية – الموصولات -إشاريات الأعلام –

ثم أورد عدة خصائص للإحالة وبعدها عدد أدوات التماسك الإحالي وهي عنده :

١- الضمائر

٢- أسماء الإشارة .

٣- الموصولات.

٤- أل التعريف .

٥- المقارنة .

ثم طبق ذلك على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " أصحاب الغار "

وخلص إلى النتائج التالية :

- الإحالة النصية تساعد على التماسك عكس ما ذهب له بعض الباحثين.

- الإحالة بالضمائر هي الأكثر شيوعا في القصص النبوي.

- شكلت أسماء الإشارة والموصولات وأل التعريف جانبا كبيرا من العناصر الإحالية في القصص النبوي وساهمت في تماسكه.

فصلية محكمة
فصول
مجلة النقد الأدبي

النص المدروس

حديث قاتل المائة

مقدمة :

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم " من القصة أسلوبا مهما من أساليب الدعوة ... ومما يعكس اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصة في تعليم الصحابة

أنه كان يكرر القصة الواحدة أكثر من مرة " الزير، ١٩٨٥، ص٦٠ "

وسنورد فيما يلي نص الحديث المدروس مع شرح مختصر له :

قص النبي صلى الله عليه وسلم قصة رجل أسرف على نفسه ثم تاب وأناب فقبل الله توبته، والقصة رواها الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال : إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحم: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملَكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضي، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة. قال قتادة : فقال الحسن: ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره." (إسلام ويب تاريخ النشر:٢٠٠٣/٠٧/٢٦")

هذه قصة رجل أسرف على نفسه بارتكاب الذنوب والموبقات، حتى قتل مائة نفس، ومع كل الذي اقترفه إلا أنه كان لا يزال في قلبه بقية من خير، فخرج من بيته باحثاً عن عالم يفتيه، ويفتح له أبواب الرجاء والتوبة، ومن شدة حرصه وتحريه لم يسأل عن أي عالم ، بل سأل عن أعلم أهل الأرض ليكون على يقين من أمره، فدُلَّ على رجل راهب والمعروف عن الرهبان كثرة العبادة وقلة العلم، فأخبره بما كان منه، فاستعظم الراهب

ذنبه، وقنَّطه من رحمة الله ، وازداد الرجل غيّاً إلى غيّه بعد أن أُخْبِر أن التوبة محجوبة عنه، فقتل الراهب ليتم به المائة.

ومع ذلك لم ييأس ولم يقتنع بما قال الراهب، فسأل مرة أخرى عن أعلم أهل الأرض، وفي هذه المرة دُلَّ على رجل لم يكن عالماً فحسب ولكنه كان مربياً وموجهاً خبيراً بالنفوس وأحوالها، فسأله ما إذا كانت له توبة بعد كل الذي فعله، فقال له العالم مستنكرا ومستغربا: ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ وكأنه يقول: إنها مسألة بدهية لا تحتاج إلى كثير تفكير أو سؤال، فباب التوبة مفتوح ، والله عز وجل لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ورحمته وسعت كل شيء ، وكان هذا العالم مربيا حكيما، حيث لم يكتف بإجابته عن سؤاله وبيان أن باب التوبة مفتوح، بل دله على الطريق الموصل إليها، وهو أن يغير منهج حياته ، ويفارق البيئة التي تذكره بالمعصية وتحثه عليها، ويترك رفقة السوء التي تعينه على الفساد، وتزين له الشر، ويهاجر إلى أرض أخرى فيها أقوام صالحون يعبدون الله تعالى، وكان الرجل صادقا في طلب التوبة فلم يتردد لحظة ، وخرج قاصدا تلك الأرض، ولما وصل إلى منتصف الطريق حضره أجله ، ولشدة رغبته في التوبة نأى بصدره جهة الأرض الطيبة وهو في النزع الأخير، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، كل منهم يريد أن يقبض روحه، فقالت ملائكة العذاب: إنه قتل مائة نفس ولم يعمل خيراً أبدا، وقالت ملائكة الرحمة إنه قد تاب وأناب وجاء مقبلا على الله، فأرسل الله لهم ملكا في صورة إنسان، وأمرهم أن يقيسوا ما بين الأرضين، الأرض التي جاء منها ، والأرض التي هاجر إليها، فأمر الله أرض الخير والصلاح أن تتقارب ، وأرض الشر والفساد أن تتباعد، فوجدوه أقرب إلى أرض الصالحين بشبر ، فتولت أمره ملائكة الرحمة، وغفر الله له ذنوبه كلها.

تحليل التماسك النصي في الحديث

إنّ أول ما يعطي هذا النص تماسكه ، الترابط بين سند الحديث ومتنه[٢]وهي خاصية متكررة في كل الأحاديث النبوية ، بل وفي كثير من النصوص العربية القديمة التي تقوم على الإخبار مثل نصوص الكتب التراثية كالأغاني مثلا " أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ " (الأصبهاني ، ص٣٤ ج ١٦).

والرابط بين السند والمتن هو وقوع الحديث مقولا للقول للفعل " قال " الوارد في السند، فهذا الربط هو المفصل الرئيس للتماسك في نص الحديث.

الأمر الثاني الذي أعطى الحديث تماسكه هو " القص والحوار " فالقصة عبارة عن أحداث تترابط و تتابع، وتتحرك شخوصها في زمان ومكان، وهذا النص به بطل هو " القاتل التائب " وشخوص هم الراهب والعالم وملائكة العذاب وملائكة الرحمة والملك الذي على صورة إنسان.

ومما يعطي القصة تماسكها، وبالتالي يضفيه على النص " الحوار " الذي يدور بين المتحاورين كما تدور الكرة بين اللاعبين.

ويمكن تقسيم هذا النص لتوضيح الحوار إلى قسمين:

الأول : " كان فيمن كان ...أتاه الموت " في هذا الجزء يدور الحوار بين طرفين، طرف ثابت وهو البطل " القاتل التائب" وطرف متغير " الراهب / العالم "

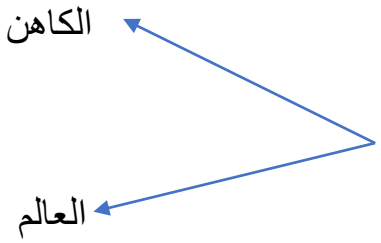

وفي هذا الجزء أيضا حوار غير مباشر ولكنه يتضح من خلال الفعلين التاليين :

[٢]السند: ما يسبق المتن أو المضمون وهو يخبرعن الأعلام الذين تناقلوا الرواية.
المتن: هو نص الحديث.

سأل دُلّ

واستخدام المبني للمجهول يوحي بأن المسؤول قد يكون أكثر من واحد وفي أكثر من وقت، وذلك عكس ما يفيده البناء للمعلوم من تقييد عدد المسؤولين، وأوقات السؤال . وهذا مما وسع دائرة الحوار، مع احتفاظ النص بصفة الإيجاز.

الثاني : "اختصمت ...نأى بصدره "

تتوسع دائرة الحوار هنا بزيادة عدد المتحاورين باستخدامه الجمع " ملائكة "، مع تقارب مستوى مشاركتهم والتي يدل عليها الفعل " اختصم "، فإذا كان الحوار الأول يدور بين طرف ثابت وطرفين متغيرين، فالحوار هنا يدور بين أطراف تسهم في الحوار بشكل متساو – تقريبا – وهي : ملائكة الرحمة – ملائكة العذاب – الملك في صورة إنسان .

فهذا الحوار يصنع شبكة من العلاقات وشبكة من الترابط مما يزيد من تماسك النص وترابطه.

التماسك النصي عن طريق الإحالة بالضمائر:

" الضمير من الألفاظ التي تتميز بالإبهام والغموض، لذلك تحتاج دائما إلى مفسر ومبين يزيل إبهامها، ويشترك معها في إبراز المعنى، وتعد الضمائر أهم وسيلة من وسائل الاتساق، فلا يخلو نص من وجودها " (الداود،٢٠١٩ ، ص ٢٨)

ونجد في هذا النص إحالة خارجية تتمثل في المحيط الخارجي للنص، فهو يرجع إلى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم - ، ودون هذا السياق الخارجي لن نستطيع أن ندرك مرجعية الضمائر التي تعود إلى قائله، ومعرفة الإحالة الخارجية تساعد على فهم أفضل للنص.

أما الإحالة الداخلية فجاءت كالآتي:

وفي الجدولين الآتيين سنعرض ضمائر النص وفقا لقسميه السابقين اللذين تناولناهما:

ضمائر القسم الأول		
العنصر الإشاري	عناصر الإحالة	
	المخاطب	الغائب
رجل " القاتل التائب "	انطلقْ – اعبدْ – لا ترجعْ	قَتَل – سأل – قتل – سأل – دُلّ- قتل – انطلق – إنه – له -إنه - له - بينه
الراهب		قال – أتاه -قتله
العالم		قال
من		يحول
ضمائر القسم الثاني		
رجل		انطلق – نصف – أتاه -فيه- جاء -بقلبه- كان- قبضته- أتاه – أراد - نأى
ملائكة الرحمة		قالت
ملائكة العذاب		قالت
ملائكة الرحمة والعذاب	قيسوا	اختصمت – أتاهم – قاسوا - وجدوا
ملك في صورة آدمي		قال – قال
ما بين الأرضين		قاسوه - وجدوه

وباستقراء الجدول السابق نستنتج ما يلي:

-غلب على الضمائر ضمائر الغائب، وقد جاءت إحالاتها نصية قبلية.

ونظرا لأن النص قصة ، وتقوم على الحوار فكثر التعبير بالفعل " قال " لذلك كثرت الإحالة بضمير الغائب " هو" الذي يحيل على العنصر الإحالي " رجل " معظم الوقت ، وهذا يتفق مع كونه محور القصة وبطلها، أو بؤرة النص، وإليه وإلى ملائكة الرحمة وملائكة العذاب و كليهما في القسم الثاني .

ولضمائر الغائب قيمة واضحة في تماسك النص " فقد أسهم استعمال الضمائر محل الاسم الظاهر في إحداث التماسك النصي في الحديث... فالضمائر تنوب عن الأسماء وتحل محلها " الداود، ٢٠١٩، ص٢٩ " ." كما أن "ضمائر الإحالة النصية تشكل داخل النص سلسلة من الحلقات التي تبني النص، إذ يعتبر النص وحدات لغوية متتابعة بسلاسل إضمار متصلة " (خضير، ص ١٩٥، ٢٠١٥)

والإحالة النصية القبلية، في هذا الحديث استخدمت استخداما مناسبا، فصنعت شبكة من الروابط شدت أجزاء النص، كما حققت الإيجاز الذي هو سمة من سمات البلاغة العربية، وخصيصة من خصائص أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم.

ثانيا : أدوات الربط .

أذهب إلى أن الربط بأدوات الربط هو أكثر ما يحقق للنص تماسكه، فهي كالمفاصل التي تربط أجزاء الجسد. ولتتحقق من ذلك جرب أن تحذف الروابط من نص ما، فستجده يقع كما تقع الخيمة عندما تنزع أعمدتها.

وأدوات الربط التي وردت في هذا الحديث هي : الواو – الفاء – ثم وهي من أدوات الربط الخطي[٣] وسنركز على التي تربط بين الجمل لأنها التي تحقق تماسك النص ككل وليس تماسك الجملة – وإن كان هاما - .

[٣] تقسيمات أدوات الربط متعددة وسنعتمد في هذه الدراسة تقسيم الأزهر الزناد .

وفيما يلي جدول بعدد ورود كل نوع منها :

الأداة	عدد مرات الورود
الواو	٣
الفاء	٢٤
ثم	١

باستقراء الجدول السابق نلاحظ غلبة الربط بالفاء بصورة واضحة جدا، ويمكن تفسير ذلك بإن الفاء تفيد الربط مع الترتيب والتعقيب، فهي " تربط بين أحداث يعقب منها الثاني الأول ويفصله عنه مدى قصير جدا " (الزناد ، ١٩٩٩، ص٤٧) ،وبما أن النص قصة فهو يقوم على الترتيب والتعقيب، وإن أتت في بعض المواضع لتفيد علاقة إضافية هي السببية، مثل:

" فسأل عن أعلم أهل الأرض فدّل على راهب، وتكررت بنفس الصيغة مع " عالم " ، ومثلها فقال : لا، فقتله. فالجملة الثانية نتيجة للجملة الأولى، والأولى سبب للثانية ،حيث تضمنت الأولى الأسباب التي أدت إلى الثانية.

وغلبة " الفاء " في أسلوب الحديث النبوي خاصة القصة منه، أمر ملحوظ بوضوح فقد توصلت باحثة أخرى درست الموضوع نفسه في حديث آخر إلى النتيجة التالية [٤]:

حرف العطف	عدد مرات الورود في الحديث
الفاء	٤٤
الواو	١٩
ثم	٣

ولوحولنا هذه الأرقام إلى نسبة مئوية، لوجدناها تقترب كثيرا من نتائج بحثنا، فلعل ذلك يعطي النص النبوي القصصي خصيصة هي غلبة الربط ب " الفاء "، في حين نجد الغلبة في النصوص المعاصرة للربط ب " الواو ".

[٤] دراسة لأماني الداود طبقتها على حديث "الأبرص والأقرع والأعمى"

حلت الواو كرابط خطي في المرتبة الثانية في هذا النص بعد ال " فاء " والواو تفيد مطلق الجمع ، وركزنا على الربط بالواو بين الجمل نظرا لتركيزنا على تماسك النص لا الجملة، ومنها: فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة – فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا إلى الله، وقالت ملائكة العذاب ...، وقد ربطت الواو هنا بين أجزاء النص في المواضع التي تلت الجملة فيها الأخرى دون أن يكون هناك أهمية للمدى الزمني بينهما، أو " كان المدى الفاصل بينهما غير محدد أو لم يقصد تحديده فكل ما يتوفر فيها هو الجمع بين المربوطين " (الزناد ،١٩٩٣، ص٤٧)

ولا شك أن الواو أسهمت في تماسك النص، في الأجزاء الذي لم يلعب فيها الزمن دورا محوريا، وساعدت في تنظيمه وترابطه.

أما أقل الروابط الخطية في النص فهي " ثم " وهي تفيد " الترتيب والتراخي،

والتراخي : المهلة ، فإذا قلت : (أقبل محمد ثم خالد) كان المعنى أنه أقبل محمد أولا وبعده بمهله أقبل خالد " (السامرائي ،٢٠ ٢٠ ، ص٢٨٥)

أي أن الفرق بينها وبين الفاء وجود فاصل زمني أطول، بينما تشترك معها في التعقيب . وقد جاءت " ثم " لتربط بين سؤاله للراهب وسؤاله للعالم، لتدل على مرور زمن بين الحدثين، فالقتل حدث فورا لذلك ربطه بالفاء، أما الذهاب إلى العالم فقد حدث بعد مدة زمنية عاد فيها التائب إلى رغبته الأول بالتوبة التي يأّسه العالم منها، فثم ربطت ربطا خطيا مع وجود فاصل في الزمن، وهكذا نلاحظ أن رابطا من ثلاثة حروف، قد أغني عن عبارة كاملة كان المرسل قد يحتاج لها لو أراد أن يعبر عن نفس المعنى دون استخدام" ثم" كأن يقول " بعد مرور مدة من الزمن " وهذا الإيجاز خصيصة من خصائص البلاغة العربية، وأسلوب الرسول كما أشرنا من قبل.

ثالثا : التكرار .

جاء التكرار في هذا النص على مستوى الكلمة وعلى مستوى الجملة، وهو من نوع التكرار المحض. فعلى مستوى الكلمة كرر الفعل " قال " فقد تكرر " ٥ " مرات ، مع تنوع المحال إليه فقد أحيل في القسم الأول إلى " رجل " مرتين، وإلى " الراهب مرة ، وإلى "العالم" مرة. وفي القسم الثاني أحيل إلى " ملائكة الرحمة " مرة ، و " ملائكة العذاب " مرة " والعذاب والرحمة " مرة ، و " ملك في صورة آدمي " مرة.

وقد أشرنا سابقا إلى فائدة الحوار في التماسك النصي عند حديثنا عن القصة والحوار وعند حديثنا عن التماسك النصي بالإحالة، بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا فإن تكرار قال تحقق الاستمرارية في أحداث النص، " وتثير انتباه المتلقي لمتابعة أحداث القصة والتشويق لها "(دكمة ، ٢٠١٧، ص٣٨).

كما تحقق التكرار المحض على مستوى الجملة في : ١-" سأل عن أعلم أهل الأرض "تكررت مرتين- "إنه قتل تسعة وتسعين نفسا " تكررت مرتين أيضا.

وهذا " التكرار زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، و يربط بين عناصر هذا النص، مع مساعدة عوامل التماسك الأخرى"(الداود،٢٠١٩،ص ٥٨)

وبما أن الحديث النبوي " كان نصا منطوقا حين قيل، وكون هذا الحديث يروي قصة... استدعى تكرار الألفاظ والجمل، وهذا مما فرضته طبيعة القصة "(الداود، ٢٠١٩، ص٦٠)

وبصفة عامة " التكرار من الظواهر الأسلوبية الشائعة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فهو جار على طريقة العرب في استعمالهم إياه" (بارودي،٢٠١٦،ص ٣٢١)

وهكذا نجد أن التكرار سمة من سمات الأسلوب النبوي،وركيزة من ركائز تماسكه.

فصولة محكمة
مجلة النقد الأدبي

الخاتمة

كانت هذه دراسة حول التماسك النصي في الحديث النبوي ممثلة في النص المدروس كنموذج، ويمكننا القول أنها كشفت عن النتائج التالية:

١- إن مما يعطي النص النبوي تماسكه، والذي يختلف به عن كثير من النصوص الأخرى، الربط بين السند والمتن.

٢- يكشف البحث عن دور القص والحوار وفي إحداث التماسك والتتابع في النص مما جعل الباحثة تفرد له قسما خاصا.

والنتيجتان ١+ ٢ تجيبان عن سؤال البحث الثاني وهو: هل هناك مظاهر تماسك أخرى تكشف عنها الدراسة ولم يسلط الضوء عليها في أدبيات هذا الموضوع ؟ وكيف أضفت هذه المظاهر التماسك على النص المدروس ؟

٣- أسهمت الإحالة عن طريق الضمائر في تحقيق التماسك للنص النبوي المدروس، وقد غلب على الحديث استخدام ضمائر الغائب، وقد عللنا ذلك خلال التطبيق.

٤- كما أسهمت الإحالة بالضمائر في تحقيق الإيجاز للنص، الذي هو سمة من سمات الأسلوب النبوي، فالرسول – صلى الله عليه وسلم - أوتي جوامع الكلم.

٥- تحقق التماسك للنص كذلك من خلال الروابط ، وقد لوحظ غلبة الربط بالفاء مقارنة بالواو والروابط الأخرى، وهي نتيجة اشتركت فيها هذه الدراسة مع دراسات أخرى، مما يجعلنا نسم الأسلوب النبوي خاصة في مجال القصة بهذه السمة.

٦- أسهمت الواو في تحقيق التماسك في النص في الأجزاء التي لم يلعب فيها الزمن دورا محوريا، وساعدت في تنظيمه وترتيبه.

٧- ربطت " ثم " ربطا خطيا عند وجود فاصل في الزمن، وأغنى استخدامها عن التعبير بجملة كاملة مما أسهم في خلق الإيجاز الذي هو سمة من سمات الأسلوب النبوي.

٨- جاء التكرار في هذا النص تكرارا محضا، كما أتى على مستوى الكلمة والجملة ، ويشترك فيه هذا النص مع النصوص النبوية الأخرى، مما يجعل التكرار سمة من سمات الأسلوب النبوي.

٩- أسهم التكرار في تحقيق التماسك النصي ، والربط بين عناصر النص ، خاصة أن الحديث النبوي كان نصا منطوقا قبل أن يدون ، وفي التكرار جذب لانتباه السامعين .

المقترحات :

١- المزيد من الدراسات المشابهة لهذه الدراسة على نصوص نبوية أخرى و يمكن التركيز على عنصر واحد من عناصر التماسك وتطبيقه على أكثر من حديث، للوصول لسمات عامة للأحاديث النبوية.

٢- القيام بدراسات مقارنة تعنى بالكشف عن التشابه أو الاختلاف في عناصر التماسك في الأحاديث النبوية باختلاف الموضوعات.

٣- توحيد المصطلحات بين الدارسين العرب، والوصول لصيغة من عناصر التماسك النصي مناسبة لطبيعة اللغة العربية.

٤- تطبيق ما تكشف عنه هذه الدراسات من نتائج في تعليم الكتابة العربية، والوصول لقواعد لتعليمها .

المراجع :

١- الأصبهاني، أبو الفرج . الأغاني. ج ١٦، مؤسسة عز الدين.

٢- بارودي ،عائشة حسين مصطفى.(٢٠١٦). التماسك النصي وجذوره البلاغية في الحديث النبوي: القيم الاجتماعية نموذجا.

٣- بريك ، محروس.(٢٠١٨) . النحو والإبداع ، كنوز المعرفة.

٤- بوجراند، روبرت. (١٩٩٨). النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب.

٥- الجهني، نورة صبيان بخيت. (٢٠٢٠). التماسك النصي في قصيدة " حديقة الغروب " للقصيبي . مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث ، مج ٦، ع ٢ ، ٧٥-١١٩ .

٦- خضير، باسم خيري. (٢٠١٥). أثر الإحالة في تماسك قصص النبوي الشريف. مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج١٠، ع١٨٥،٣٥=٢١٨

٧- خطابي، محمد. (١٩٩١). لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) المركز الثقافي العربي.

٨- الداود، أماني بنت عبد العزيز بن عبد الله. (٢٠١٩). التماسك النصي في القصص النبوي: حديث الأقرع والأبرص والأعمى نموذجا، مجلة الدراسات اللغوية، مج ٢١، ع٣، ٥-٧٤

٩- دكمة، فاطمة الزهراء. (٢٠١٧). التكرار أسراره ودلالته: سورة يوسف أنموذجا (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح.

- زناد ، الأزهر. (١٩٩٣). نسيج النص: بحث فيما به يكون الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي .

١٠- الزير ،محمد بن حسن. (١٩٨٥). القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية.

١١- السامرائي ، فاضل. (٢٠٢٠). معاني النحو، ج ٣ ،دار ابن كثير.

١٢- عبد الباري، عبد العزيز فتح الله علي.(٢٠٠٩). الدراسات البلاغية والنقدية: التماسك النصي في الحديث الشريف. مجلة كلية الآداب ، ع ٥٠، ١٧٩-٢٠٢.

١٣- عبيدات، ريجان عبده. (٢٠١٩). أثر التكرار في التماسك النصي: شعر أحمد مطر نموذجا تطبيقيا. مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مج ٢٥، ع٤، ١٣٧-١٦٣.

١٤- Lahlali,E.M.(2021).Arabic. How to Write inArabic: Edinburgh University press